

البَابُ الْأَوَّلُ

مقدمات الخامس والعشرين من يناير
وأحداث المخاض

فترة حكم مبارك

عاشت مصر أثناء حكم مبارك مرحلة من تاريخها الممتد عبر آلاف السنين تعتبر متميزة نوعاً ما ، حيث لم تدخل مصر في هذه المرحلة حرباً تدافع بها عن حدودها مثلما حدث في الستين عاماً الماضية حيث خاضت مصر أربع حروب كبيرة مع العدو الإسرائيلي واحدة منها فقط وهي حرب عام ١٩٤٨ كانت للدفاع عن فلسطين والثلث الأخرى وهي حروب عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ وأخيراً عام ١٩٧٣ كانت للدفاع عن حدودها ، وقد انهزمت مصر في الحروب الثلاث الأولى وفازت في الحرب الأخيرة وهي حرب العبور (العاشر من رمضان)، وقد تكلفت هذه الحروب الأربع الكثير وأنهكت ميزانية مصر كثيراً ، وجعلت الشعب المصرى يُحسب من أفقر شعوب العالم رغم كثرة موارده، ولكنها الحرب وتكلفتها ، وفي نهاية عهد الرئيس السادات وقعت مصر إتفاقية السلام مع إسرائيل ، ومن أهم نتائج هذه الاتفاقية أن مصر لم تدخل حرباً مع إسرائيل في الثلاثين عاماً الماضية وهي فترة حكم مبارك ، وإذا أسندنا إتفاقية السلام إلى فترة مبارك فيكون من مظاهر فترة حكمه عدم خوض مصر أى حروب للدفاع عن أراضيها ، ونستثنى طبعاً حرب تحرير الكويت التى استفادت مصر منها مادياً حيث أسقطت أمريكا ديون مصر كلها في ذلك الوقت .

ورغم عدم خوض مصر أى حروب دفاعية في عهد مبارك ، ورغم بيع القطاع العام وتحويله إلى قطاع خاص إلا أن حالة الفقر ما زالت موجودة ، والشعور بالضائقة المالية للشعب المصرى تزداد ضيقاً والمآ .

وسط هذا الشعور بالفقر ، والضائقة المالية ، وانتشار البطالة

بين الشباب نتيجة بيع القطاع العام، وانتشار ثقافة القطاع الخاص وما واكبه من فساد ومحسوبة وعدم انتماء، حتى أن المصريين بدأوا يشعرون أن مصر ليست بلدهم بل هي بلد الأغنياء والفاستدين والمحسوبين على النظام، ومع كل هذا التردى انتشر الفساد السياسى حيث تحكم الحزب الوطنى حزب الأغلبية بالفساد والتزوير فى مقادير البلاد وأصبحت مصر عزبة يرتع بها النظام وأبنائه وأتباعه ولا حياة لمن تتادى .

وكان كل المراقبين ينتظرون ثورة للجياع فى مصر تأتي على الأخضر واليابس خصوصاً بعد أن ظهر التورث و بزوغ نجم جمال مبارك ودخوله ساحة السياسة طمعاً فى حكم البلاد، رغم معارضة جموع الشعب المصرى للتورث وللتמיד أى تمديد حكم مبارك، ولأن نظام مبارك انشغل بجمع المال والعمولات وانشغل عن مصر وحكم مصر، فقد أصبحت مصر مطمعاً لكل القوى العظمى التى تخشى على مصالحها فى مصر، وكذلك إسرائيل التى تؤيد استمرار نظام الحكم لمبارك، فبدأت كل هذه القوى فى التخطيط لما بعد مبارك، كل حسب إمكانياته وأغراضه، وبدأت هذه القوى تستكشف جمال مبارك وغيره من الوجوه حتى تتعرف على الوجه الجديد للحكم فى مصر، حتى أن أمريكا بدأت اتصالاتها مع الإخوان المسلمين فى مصر. وبدأنا نسمع عن تكوين حركات معادية لمبارك ولجمال مبارك، وحركات تؤيد أى وجه قادم غير وجه مبارك وآل مبارك، وبدأنا نسمع عن ترشيدات لعمرو موسى وعن عودة للبرادعى، وكذلك بدأت المعارضة المصرية تجذب الشباب عن طريق الانترنت ذلك الوحش الكاسر ذو التأثير القوى فبدأنا نسمع عن حركة كفاية وحركة ٦ إبريل وحركة كلنا خالد سعيد، وكذلك بدأ التيار الإسلامى

يستعد لما بعد مبارك وكان الجميع ينتظر لجبر موت مبارك حتى يبدأ فى التحرك، ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهي السفن، ولكن الرياح هذه المرة أتت بأكثر مما تشتهي السفن، فقد بدأ الشباب مظاهراته وتجمعاته وبدأ ما يسمى بمظاهرات الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١ والتي وفى أحسن التوقعات لأكثر المتابعين بماؤلاً أن أقصى ما يمكن توقعه من نتائج هو أن يتغير رئيس الوزارة فى مصر، وذلك كان أقصى أمانى الجميع، ولكن حدث ما لم يتوقعه الجميع، فماذا حدث ؟؟

أحداث الغضب فى الخامس والعشرين من يناير

إن أحداث أيام الغضب فى مصر والتي عشناها جميعاً كانت ناقوساً يندب بالخطر للجميع حكومة ومعارضة مواطنين وحكاماً، ذلك الخطر الذى لم ننتبه إليه جميعاً رغم أن عواقبه كانت خطيرة ومؤلم.

وأول هذه العواقب، هى أن الآلاف الذين لجروا يوم الغضب كانوا هذه المرة من عامة الشعب وأكثرهم من الشباب الذين استهوتهم تكنولوجيا المعلومات الحديثة ففجروا بركائنا كان نائماً فاستيقظ فى قلوبهم وهو سهولة التواصل ونقل المعلومة، وهى ثورة بكل المقاييس لو تم استعمالها جيداً.

وثانى العواقب، هو موقف رجال الأمن وخصوصاً الجنود البسطاء الذين كان لهم موقف شاهده الجميع وهو عدم البدء بالعنف فكانت المظاهرات فى بدايتها صورة مشرقة لمصر وأبنائها مواطنين ورجال أمن، وهنا تظهر صورة أخرى وهى موقف الأمن وتأثيره على المعادلة وهو موقف خطير لو كان تم التعامل معه بحسنة وشفافية .

وثالث هذه العواقب، هو تعامل الإعلام الخارجى مع أحداث مصر، وكأن الجميع كان ينتظر الانفجار وينتظر الفوضى فى مصر، وهى نتيجة كانت واضحة فى تعامل الإعلام غير المصرى مع الأحداث، وثبتت أن هناك من يتريص بمصر شعباً ودولة .

وآخر العواقب، هو موقف الغالبية العظمى من الشعب المصرى المكافح فى سبيل لقمة العيش والذى كان ومازال عند موقفه، وهو موقف المتفرج غير المشارك وإن كان يؤيد ما تتادى به المظاهرات، وهو موقف راهنت عليه الحكومة فى ذلك الوقت وكان رهاناً خاسراً، وهو أن الغالبية من الشعب المصرى مشغول بلقمة العيش وبذلك فلن يشارك فى المظاهرات، وهو موقف قد تغير تماماً حيث خرج الشعب بالملايين وهنا تغيرت المعادلة تماماً .

إن جماهير الشعب المصرى فى ذلك الوقت كانت تطالب الجميع حكومة و ثواراً جيشاً وشرطة أن يضعوا نصب أعينهم مصر وسلامة مصر وأمن مصر، وألا ننسى أننا شعب له تاريخ عريق فى الحضارة لا شعب التخريب، شعب الإيمان لا شعب الكفر، شعب الحب لا شعب الكراهية، وعليه فيجب على الجميع أن يتقوا الله فى مصر وشعب مصر وأن يحافظوا على مصر وأبناء مصر .

عودة البرادعى ومشاركته فى أحداث أيام الغضب

فى خضم أحداث أيام الغضب فى الخامس والعشرين من يناير وما بعدها التى كانت تعم مصر، وذات فجأة تُعلن الأخبار أن الدكتور محمد البرادعى رئيس الجمعية الوطنية للتغيير والمعارض النشط فى الساحة المصرية قد قرر العودة سريعاً إلى القاهرة من فيينا حيث

يقيم ليشارك في مظاهرات الغضب مع جماهير الشباب المصرى الغاضب في ميدان التحرير، وقد أثارت عودة البرادعى الكثير من التساؤلات، فالمؤيدون للبرادعى من أعضاء جمعية التغيير وبعض أعضاء حركة كفاية هللوا لعودة البرادعى واعتبروه رجل الوقت وأن عودته ستشجع الشباب الغاضب على الاستمرار في المظاهرات حتى يرضخ النظام، وقد يسلم الحكم للبرادعى، وبعض أعضاء المعارضة رأوا في عودة البرادعى كمن ركب الموجة وجاء لياكل الكعكة، وأما الحكومة فقد ارتابت في عودة البرادعى، وإن كانت لم تستطع أن تمنعه من العودة خوفاً من رأى العام العالمى، وهكذا أحدثت عودة البرادعى المفاجأة والكثير من التساؤلات، وانتظر الجميع مشاركته في مظاهرات يوم الجمعة وأسموها جمعة الغضب.

إن البرادعى وكما يقول البعض من الحكومة ومن المعارضة ورقة تم حرقها لأنه أدى دوره وكفى، وأن الأيام القادمة ليست أيام البرادعى، وعلى الجانب الآخر يقول البعض من المعارضة أن البرادعى يشكل في الوقت الحالى رمزاً تلتف حوله جماهير المظاهرات بشتى أنواعها وهو هنا يمثل حلقة الاتصال وبؤرة التجمع، وسواء نجح البرادعى في قيادة مظاهرات الجمعة الغاضبة أو لم ينجح فالموقف كله في يد الجماهير الغاضبة وهل هذه الجماهير تريد رمزاً تلتف حوله أم أنها المحرك وهى فى النهاية صاحبة الحق فى الدفاع عن حقها .

إن الأيام ستثبت هل عودة البرادعى كانت هى الحل أم لا ؟ ولكن الأيام لم تمهل الشعب المصرى الكثير من الوقت، فسريراً ما تلاحقت الأحداث ولم يكن البرادعى فى هذه الأحداث إلا رمزاً يلتف حوله الشباب، ولكن معظم الشعب المصرى كان ينتظر رمزاً آخر يستطيع أن يجمع كل طوائف الشعب، وهكذا ورغم نجاح البرادعى

فى أن يحرك المياه الراكدة إلا أنه لم يرو عطش الشعب كقائد له
وكرمز، والحقيقة أن الدكتور البرادعى سيذكر له التاريخ أنه
كان الرمز الذى أشعل أول شرارة للمقاومة ضد نظام مبارك، ومهما
كان دور البرادعى وعلاقاته مع الجماعات السياسية الداخلية فى
مصر أو الخارجية خارج مصر إلا أنه سيظل رمزاً لأول شرارة للمقاومة
ضد نظام مبارك .

ذروة الأحداث فى أيام الغضب

فى مشهد مهيب، وفى ساعة من ساعات الحزن الكئيب، اختلط
الحابل بالنابل وأصبح ميدان التحرير بالقاهرة أشبه بسوق عكاظ
حيث تداخلت الآلاف المؤلفة من المعارضين للنظام مع بضع مئات من
المؤيدين للنظام وحولهم الجيش، وقد كان الجيش قد تدخل بأوامر
من مبارك لضبط الأمن والتحكم فى المظاهرات بعد إعلان النظام
فى ذلك الوقت تغيير الوزارة، وتعيين اللواء عمر سليمان نائباً للرئيس
منهياً بذلك حلم التوريت، وإعلان حظر التجول فى المدن الرئيسية،
ولكن الجيش كان له موقف آخر والذى بدا واضحاً أنه يقف مع
الشعب المصرى وأغليته ضد الفساد وأعوانه فى صورة ذكرتها
بمواقف الشعب المصرى فى المائة عام الماضية.

فتتذكر هبة الشعب المصرى عام ١٩١٩ وهو ينادى بعودة الزعيم
سعد زغلول الذى أخرجه الإنجليز من مصر، ووقفه الشعب المصرى
وهو يواجه الاحتلال وقواته حتى يعود سعد زغلول ويستقبله الشعب
بالأسكندرية فى لحظة فارقة فى تاريخ نضال الشعب المصرى.

ونتذكر أيضاً وقفه الشعب المصرى مع جيشه الباسل فى حركته

المباركة فى الثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ وتأييده للثورة وخلع الملك فاروق عن مصر وتعيين ابنه الأمير أحمد فؤاد ملكاً على مصر بدلاً من والده.

وتذكر خروج الشعب المصرى ليلة التاسع من يونيو ١٩٦٧ وبعد أن أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تنحيه عن السلطة وتحمله مسئولية هزيمة ٦٧ وكيف أن الشعب المصرى رفض الإعتراف بالهزيمة فى صورة رفض تنحى الرئيس عبد الناصر وإصرار الشعب على إعادة بناء الجيش والاستعداد لحرب التحرير.

وتذكر غضبة الشعب المصرى وبعد أن فاجأته نتائج نكسة يونيو ٦٧ وفداحة الخسائر فغضب غضبة كبيرة ضد أحكام ما يسمى بقضية الطيران حيث تظاهر الآلاف من العمال والطلبة فيما يسمى بمظاهرات عام ١٩٦٨ وكيف أن النظام فى ذلك الوقت رضخ للشعب وأعلن عبد الناصر التغيير فى بيان ٢٠ مارس عام ١٩٦٨ .

وتذكر مظاهرات الشعب المصرى فى تأييده للرئيس أنور السادات ودعمه له ضد مراكز القوة التى فتكت بمصر وبشعب مصر فيما عرف بثورة التصحيح مايو ١٩٧١.

وتذكر وقوف الشعب المصرى بجانب قواته المسلحة فى حربها المقدسة حرب أكتوبر ٧٣ وكيف أن الشعب المصرى تحمل كل التضحيات أثناء الحرب فلم نسمع عن شغب هنا أو تدمير هناك رغم قسوة الحياة وشظف العيش إلا أن الشعب والجيش كانا يداً واحدة.

وتذكر مظاهرات الشعب المصرى وخروجه ضد النظام فى عام ١٩٧٧ فيما عرف بمظاهرات ١٨ و ١٩ يناير وكيف أن الشعب أرغم السلطة على إلغاء زيادة الأسعار وعودة الدعم.

ونتذكر مظاهرات الأمن المركزي التخريبية فى عام ١٩٨٦
ووقوف الشعب والجيش مع الرئيس مبارك ودعمه لمصر وأمن مصر
فى ذلك الوقت .

ونتذكر ووقوف الشعب المصرى وفرحته بعودة سيناء فى عام ١٩٨٢
وبعودة طابا فى عام ١٩٨٧ وتأييد الشعب للرئيس مبارك فى كفاحه
لعودة طابا وعدم التضريط فيها.

وهنا تظهر صورة من صور شخصية شعب مصر ، فالشعب يريد أن
يقول أنه ليس مع النظام (أى نظام حاكم فى مصر) فى فساد وتهاونه
مع شعبه والوصول بمصر إلى ما نحن فيه الآن ، وليس مع المعارضة فى
تخريب كل منجزات مصر وإظهار مصر وكأنها مستعمرة للفساد ، وهو
أيضاً ليس مع التناول على الرئيس (أى رئيس) لأن هذا التناول ليس
من شيم مصر وأبناء مصر ، ولنا فى خروج الملك فاروق من مصر ذلك
الخروج المشرف اللائق بمصر كل عبرة .. إن شعب مصر مع مصر.

وخلاصة القول أن بركان الغضب قد انفجر داخل الشعب
المصرى ، وأن رفض التمديد للنظام بقيادة مبارك قد أعلنه الشعب ،
وأن رفض التوريث لجمال مبارك قد أعلنه الشعب وأن الجميع ينتظر
ما تأتى به الأحداث؟.